الجامع لأحكام القرآن

والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان

تأليف

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي

(ت ٦٧١ هـ)

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

شارك في تحقيق هذا الجزء

محمد رضوان عرقسوسي ماهر حبوش

الجزء الثامن

مؤسسة الرسالة

قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ يعني في الدنيا بالتوحيد. ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ «أنْ» لا مَوْضِعَ لها من الإعراب، وهي مفسِّرة مثل: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ [ص:٦] ويجوز أن تكونَ في موضع نصبٍ، أي: ما ذكرتُ لهم إلا عبادةَ الله. ويجوز أن تكونَ في موضع خفضٍ، أي: بأن اعبدوا الله، وضمُّ النون أَوْلى؛ لأنهم يستثقلون كسرةً بعدها ضمةٌ، والكسرُ جائزٌ على أصل التقاء الساكنين[1].

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: حفيظاً بما أمرتُهم[2]. ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ «ما» في موضع نصب، أي: وقت دوامي فيهم. ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: هذا يدلُّ على أنَّ الله عزَّ وجلَّ توفَّاه قبل أن يرفعَه[3]، وليس بشيء؛ لأنَّ الأخبارَ تظاهرت برفعه، وأنَّه في السماء حيٌّ، وأنه ينزل ويقتل الدَّجال؛ على ما يأتي بيانه[4]. وإنَّما المعنى: فلما رفعتني إلى السماء. قال الحسن: الوفاةُ في كتاب الله عزَّ وجلَّ على ثلاثة أَوْجُه: وفاةُ الموت، وذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] يعني وقتَ انقضاء أجلها. ووفاةُ النَّوم؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام:٦٠] يعني الذي يُنيمكم. ووفاةُ الرفع، قال الله تعالى: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران:٥٥].

وقوله: ﴿كُنْتَ أَنْتَ﴾ «أنت» هنا توكيدٌ، «الرَّقيبَ» خبرُ «كُنْتَ»، ومعناه: الحافظُ عليهم، والعالِمُ بهم، والشاهدُ على أفعالهم، وأصلُه المراقبة، أي: المراعاة، ومنه

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٥٢ . وقرأ بكسر النون أبو عمرو وعاصم وحمزة، والباقون بضمها. السبعة ص١٧١ ، والتيسير ص٧٨ .

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٤٦٩ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٥٢ ، وهذا قول الجبائي كما ذكر الطبرسي في مجمع البيان ٧/ ٢٤٧ .

(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف:٦١].

تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد الثالث

حققه وخرج أحاديثه

محمد عبد الله النمر   عثمان جمعة ضميرية   سليمان مسلم الحرش

دار طيبة للنشر والتوزيع

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

وكذا؟ فيما يعلم أنه لم يفعله، إعلاماً واستعظاماً لا استخباراً واستفهاماً.

وأيضاً: أراد الله عزّ وجلّ أن يقرّ [عيسى عليه السلام عن](1) نفسه بالعبودية، فيسمع قومه، ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك، قال أبو روق: إذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة في جسده عين من دم، ثم يقول مجيباً لله عزّ وجلّ: ﴿قال سبحانك﴾، تنزيهاً وتعظيماً لك ﴿ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما ليسَ لي بحقٍ إنْ كنتُ قلتُهُ فقدْ علمتَهُ تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِكَ﴾، قال ابن عباس: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل معناه: تعلم سرّي ولا أعلم سرّك، وقال أبو روق تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في الآخرة، وقال الزجاج: النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته، يقول: تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك، ﴿إنّك أنتَ علّامُ الغُيوبِ﴾، ما كان وما يكون.

﴿ما قلتُ لهم إلّا ما أمرتني به أنِ اعبدُوا الله ربّي وربكم﴾، [وحْدَهُ](2) ولا تُشركوا به شيئاً، ﴿وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ﴾، أقمت ﴿فيهمْ فلمّا توفيتني﴾، قبضتني ورفعتني إليك، ﴿كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم﴾ والحفيظ عليهم، تحفظ أعمالهم، ﴿وأنت على كل شيء شهيد﴾.

قوله تعالى: ﴿إنْ تُعذبهمْ فإنّهم عبادُكَ وإنْ تغفرْ لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم﴾، فإن قيل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار، وكيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة، قيل: أما الأول فمعناه إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الإيمان وهذا يستقيم على قول السدي: إن هذا السؤال قبل يوم القيامة لأن الإيمان لا ينفع في القيامة.

وقيل: هذا في فريقين منهم، معناه: إن تعذب من كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم.

وقيل: ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده.

(1) زيادة من «ب».

(2) ساقط من «ب».

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
(٢٢٤هـ - ٣١٠هـ)

تحقيق
الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
بالتعاون مع
مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر

الدكتور عبد السند حسن يمامة

الجزء التاسع

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

قد قلتُ للناسِ : ﴿ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ . كنتَ قد علِمْتَه ؛ لأنك تعلَمُ ضمائرَ النفوسِ مما لم تَنطِقْ به ، فكيف بما قد نطَقَتْ به ؟ ﴿ وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ . يقولُ : ولا أعلَمُ أنا ما أخفَيْتَه / عنى فلم تُطْلِعْنى عليه ؛ لأنى إنما أعلَمُ من الأشياءِ ما أعلَمْتَنِيه ، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ . يقولُ : إنك أنت العالِمُ بخَفِيّاتِ الأمورِ ، التى لا يَطَّلِعُ عليها سواك ، ولا يَعلَمُها غيرُك .

١٣٩/٧

القول فى تأويل قوله : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ من اللهِ تعالى ذكرُه عن قولِ عيسى ، يقولُ : ما قلتُ لهم إلا الذى أمرتَنى به من القولِ أن أقولَه لهم ، وهو أن قلتُ لهم : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ . ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ . يقولُ : وكنتُ على ما يفعَلونه ، وأنا بينَ أظهُرِهم شاهدًا عليهم ، وعلى أفعالِهم وأقوالِهم ، ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى ﴾ . يقولُ : فلما قبَضْتَنى إليك ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ . يقولُ : كنتَ أنت الحفيظَ عليهم دونى ؛ لأنى إنما شهِدْتُ من أعمالِهم ما عمِلوه وأنا بينَ أظهُرِهم .

وفى هذا تِبيانُ أن اللهَ تعالى ذكرُه إنما عرَّفه أفعالَ القومِ ومقالتَهم بعدَ ما قبَضَه إليه وتوفَّاه ، بقوله : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ .

﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ . يقولُ : وأنت تشهَدُ على كلِّ شىءٍ ؛ لأنه لا يَخْفَى عليك شىءٌ ، وأما أنا فإنما شهِدْتُ بعضَ الأشياءِ ، وذلك ما عايَنْتُ وأنا مقيمٌ بينَ أظهُرِ القومِ ، فإنما أنا أشهَدُ على ذلك الذى عايَنْتُ ورأيْتُ وشهِدْتُ .

وبنحوِ الذى قلنا فى قوله : ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

تفسير

البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي
المتوفى سنة ٧٤٥هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الدكتور زكريا عبد المجيد النوقي
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

الدكتور أحمد النجولي الجمل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الجزء الرابع

المحتوى

المائدة: ٨٤ - آخر الأنفال

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ضمير الله تعالى ، فلو فسرته بـ (اعبدوا الله ربي وربكم) لم يستقم . لأن الله لا يقول : « اعبدوا الله ربي وربكم » وإن جعلتها موصولة بالفعل لم يخل من أن تكون بدلاً من (ما أمرتني به) أو من الهاء في (به) ، وكلاهما غير مستقيم ، لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ، ولا يقال « ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله » بمعنى : « ما قلت لهم إلا عبادته » . لأن العبادة لا تقال ، وكذلك إذا جعلته بدلاً من الهاء . لأنك لو أقمت « أن اعبدوا الله » لم يصح . لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته .

(فإن قلت) فكيف تصنع ؟ .

(قلت) يحمل فعل القول على معناه . لأن معنى (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) ما أمرتهم إلا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بـ (أن اعبدوا الله ربي وربكم) ويجوز أن تكون موصولة عطفاً على بيان الهاء لا بدلاً » انتهى . وفيه بعض تلخيص أما قوله : « وأما فعل الأمر إلى آخر المنع » وقوله : « لأن الله تعالى لا يقول (اعبدوا الله ربي وربكم) فإنما لم يستقم ، لأنه جعل الجملة وما بعدها مضمومة إلى فعل الأمر ، ويستقيم أن يكون فعل الأمر مفسراً بقوله (اعبدوا الله) ويكون (ربي وربكم) من كلام عيسى على إضمار أعني ، أي : أعني ربي وربكم ، لا على الصفة التي فهمها الزمخشري[1] ، فلم يستقم ذلك عنده . وأما قوله : « لأن العبادة لا تقال » فصحيح ، لكن ذلك يصح على حذف مضاف ، أي : ما قلت لهم إلا القول الذي أمرتني به ، قول عبادة الله ، أي : القول المتضمن عبادة الله . وأما قوله : « لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته » . فلا يلزم في كل بدل أن يحل محل المبدل منه ، ألا ترى إلى تجويز النحويين « زيد مررت به أبي عبد الله » . ولو قلت « زيد مررت بأبي عبد الله » لم يجز ذلك عندهم إلا على رأي الأخفش . وأما قوله : « عطفاً على بيان الهاء » . فهذا فيه بعد ، لأن عطف البيان أكثره بالجوامد الأعلام . وما اختاره الزمخشري[2] وجوّزه غيره من كون أن مفسرة لا يصح ، لأنها جاءت بعد إلا ، وكل ما كان بعد إلا المستثنى بها ، فلا بد أن يكون له موضع من الإعراب ، و (أن) التفسيرية لا موضع لها من الإعراب ، وانظر إلى ما تضمنت محاورة عيسى وجوابه مع الله تعالى لما قرع سمعه ما لا يمكن أن يكون نزه الله تعالى ، وبرأه من السوء ، ومن أن يكون معه شريك ، ثم أخبر عن نفسه أنه لا يمكن أن يقول ما ليس له بحق ، فأتى بنفي لفظ عام ، وهو لفظ « ما » المندرج تحته كل قول ليس بحق حتى هذا القول المعين ، ثم تبرأ تبرؤاً ثانياً ، وهو إحالة ذلك على علمه تعالى ، وتفويض ذلك إليه ، وعيسى يعلم أنه ما قاله ، ثم لما أحال على العلم أثبت علم الله به ، ونفى علمه بما هو لله ، وفيه إشارة إلى أنه لا يمكن أن يحس ذلك في خاطري ، فضلاً عن أن أتفوه به وأقوله ، فصار مجموع ذلك نفي هذا القول ، ونفي أن يحس في النفس ، ثم علل ذلك بأنه تعالى مستأثر بعلم الغيب ، ثم لما نزه الله تعالى وانتفى عنه قول ذلك وأن يخطر ذلك في نفسه ، انتقل إلى ما قاله لهم ، فأتى به محصوراً بإلا مطلوقاً بأنه هو الذي أمره الله به أن يبلغهم عنه ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ﴾ أي : رقيباً ، كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من قول ذلك وأن يتدينوا به وأن بصيغة « فعيل » للمبالغة ، كثير الحفظ عليهم والملازمة لهم و « ما » ظرفية ، و « دام » تامة ، أي : ما بقيت فيهم أي : شهيداً في الدنيا ﴿ فلما توفيتني ﴾ قيل : هذا يدل على أنه توفاه وفاة الموت قبل أن يرفعه وليس بشيء ، لأن الأخبار تظافرت برفعه حياً وأنه في السماء حيّ وأنه ينزل ويقتل الدجال ومعنى (توفيتني) قبضتني إليك بالرفع ، وقال الحسن : « الوفاة وفاة الموت ووفاة النوم ووفاة الرفع » ، وقال الزمخشري[3] : ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شهيد ﴾ .

---

(١) انظر الكشاف ١/٦٩٥ .

(٢) نفسه ١/٦٩٥ .

(٣) نفسه ١/٦٩٦ .

ماصدر عنه قد أدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على أبلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا أوليا . أى ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به ، وإنما قيل : ماقلت لهم نزولا على قضية حسن الأدب ومراعاة لما ورد فى الاستفهام . وقوله تعالى ﴿أن اعبدوا الله ربى وربكم﴾ تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير فى به ، وقيل بدل منه ، وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد ، وقيل خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعنى . ﴿ وكنت عليهم شهيداً ﴾ رقيبا أراعى أحوالهم وأحملهم على العمل بموجب أمرك ، وأمنعهم عن المخالفة أو شاهدا لأحوالهم من كفر وإيمان ﴿ ما دمت فيهم ﴾ ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إليه زمان ودمت صلتها ، أى كنت شهيدا عليهم مدة دوامى فيما بينهم ﴿ فلما توفيتنى ﴾ بالرفع إلى السماء كما فى قوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى) فإن التوفى أخذ الشىء وافيا والموت نوع منه قال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ لا غيرك فأنت ضمير الفصل أو تأكيد وقرىء الرقيب بالرفع على أنه خبر أنت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به أى أنت كنت الحافظ لأعمالهم والمراقب فمنعت من أردت عصمته عن المخالفة بالإرشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا ﴿ وأنت على كل شىء شهيد ﴾ اعتراض تذييلى مقرر لما قبله فيه إيذان بأنه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك ﴿ وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز ﴾ أى القوى القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب ﴿ الحكيم ﴾ الذى لا يريد ولا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت فتفضل وعدم غفران الشرك إنما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم، ومن دون الله صفة لإلهين أو صلة اتخذوني، ومعنى دون إما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله سبحانه وتعالى مع عبادة غيره كلا عبادة، فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده أو القصور، فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وإنما زعموا أن عبادتهما توصل إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وكأنه قيل: اتخذوني وأمي إلهين متوصلين بنا إلى الله سبحانه وتعالى. ﴿قال سبحانك﴾ أنزهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك. ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ ما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله. ﴿إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك. وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات. ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه. ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ عطف بيان للضمير في به، أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقاً ليلزم بقاء الموصول بلا راجع، أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعني، ولا يجوز إبداله من ما أمرتني به فإن المصدر لا يكون مفعول القول ولا أن تكون أن مفسرة لأن الأمر مسند إلى الله سبحانه وتعالى، وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكي بعده إلا أن يؤول القول بالأمر فكأنه قيل: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به أن ﴿اعبدوا الله﴾. ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾ أي رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه، أو مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان. ﴿فلما توفيتني﴾ بالرفع إلى السماء لقوله: ﴿إني متوفيك ورافعك﴾ والتوفي أخذ الشيء وافياً، والموت نوع منه قال الله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾. ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالإرشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات. ﴿وأنت على كل شيء شهيد﴾ مطلع عليه مراقب له.

﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ أي إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه، وفيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك. ﴿وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر القوي على الثواب والعقاب، الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم، فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل. وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بأن.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

تفسير الثعالبي

المسمى

بالجواهر الحسان في تفسير القرآن

للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي

(٧٨٦-٨٧٥هـ)

حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وخرج أحاديثه

الشيخ علي محمد معوض

والشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وشارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة

خبير التحقيق بمجمع البحوث الإسلامية
وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
وعضو لجنة المصحف بالأزهر الشريف

الجزء الثاني

دار إحياء التراث العربي — مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

وقوله: ﴿ولا أعلم ما في نَفْسِكَ﴾: معناه: ولا أعلم ما عندك من المعلومات، وما أحطْتَ به، وذكْر «النفس» هنا مقابلةٌ لَفْظِيَّةٌ، في اللسان العربي؛ يقتضيها الإِيجَازُ؛ وهذا ينظر من طَرْفٍ خَفِيٍّ إلى قوله تعالى: ﴿ومَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]؛ و ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] فتسمية العُقُوبَةِ باسم الذَّنْبِ إنما قاد إليها طَلَبُ المُقَابَلَةِ اللفظية، إذ هي من فَصِيحِ الكلام، وبَارِعِ العبارة.

ثم أقر عيسى ـ عليه السلام ـ للّه تعالى؛ بأنه ـ سبحانه ـ عَلاَّمُ الغيوب، أي: ولا عِلْمَ لي أنا بغيب.

وقوله: ﴿فلما تَوَفَّيْتَني﴾: أي: قبضتني بالرَّفْعِ، والتصييرِ في السَّمَاءِ، و ﴿الرقيب﴾: الحافظ المراعي.

وقوله: ﴿فإنك أنْتَ العَزِيزُ﴾: أي: في قدرتك، ﴿الحَكِيمُ﴾ في أفعالك.

والمعنى: إن يكن لك في النّاسِ مُعَذَّبُونَ، فهم عبادك، وإن يكن مغفور لهم، فَعِزَّتُكَ وحكمتك تَقْتَضِي هذا كله.

﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)﴾

﴿قال اللّهُ هَذَا يَوْمُ ينفعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُم﴾؛ فدخل تحت هذه العِبَارَةِ كل مؤمن باللّه ـ سبحانه ـ، وكُلُّ ما كان أتْقَى، فهو أدْخَلُ في العبارة، وجاءت هذه العبارة مُشِيرَةً إلى عيسى ـ عليه السلام ـ في حاله، وصِدْقه؛ فيحصل له بذلك في المَوْقِفِ شَرَفٌ عظيم، وإن كان اللفظ يعمه وسواه.

ثم ذكر ـ تعالى ـ ما أعدَّهُ لهم برحمته، وطوله، جعلنا اللّه منهم بمَنِّهِ، وسَعَةِ جُودِهِ، لا رَبَّ غيره، ولا مرجو في الدَّارَيْنِ سواه، وباقي الآية بَيِّنٌ. جعل اللّه ما كتبناه من هذه الأحرف نوراً يَسْعَىٰ بين أيدينا بمَنِّهِ. والحمد للّه كما هو أهْلُهُ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وَسَلَّمَ.

تفسير الجلالين

الميسر

للإمامين

جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي

٧٩١ - ٨٦٤   ٨٤٩ - ٩١٣

حققه وعلق عليه

الدكتور فخر الدين قباوة

مكتبة لبنان ناشرون

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ
يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

١- ﴿قالَ عيسى بنُ مريمَ: اللَّهُمَّ ربَّنا، أنزِلْ علَينا مائدةً مِنَ السَّماءِ، تكونُ لَنا﴾ أي: يومُ نُزولِها ﴿عيدًا﴾ نُعظِّمه ونُشرِّف فيه، ﴿لأوَّلِنا﴾: بدلٌ من «لنا» بإعادة الجارِّ، ﴿وآخِرِنا﴾ ممَّن يأتي بعدنا، ﴿وآيةً مِنكَ﴾ على قُدرتك ونُبوَّتي، ﴿وارزُقْنا﴾ إيَّاها. ﴿وأنتَ خيرُ الرَّازِقينَ﴾ ١١٤. ﴿قالَ اللهُ﴾ مُستجيبًا له: ﴿إنِّي مُنزِّلُها﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿علَيكُم. فمَن يكفُرْ بَعدُ﴾ أي: بعدَ نزولها ﴿مِنكُم فإنِّي أُعذِّبُهُ عذابًا، لا أُعذِّبُهُ أحَدًا مِنَ العالَمينَ﴾ ١١٥. فنزلتِ الملائكة بها من السماء، عليها سبعةُ أرغفةٍ وسبعةُ أحواتٍ، فأكلوا منها حتَّى شبعوا. قاله ابن عبَّاس. وفي حديثٍ: «أُنزِلَتِ المائدةُ مِنَ السَّماءِ خُبزًا ولَحمًا. فأُمِرُوا ألَّا يَخونُوا ولا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ، فخانُوا وادَّخَرُوا ورَفَعوا، فمُسِخُوا قِرَدةً وخَنازيرَ».

٢- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ قالَ﴾ أي: يقول ﴿اللهُ﴾ لعيسى، في القيامة توبيخًا لقومه: ﴿يا عيسى بنَ مريمَ، أأنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ: اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلَهَينِ من دُونِ اللهِ؟ قالَ﴾ عيسى، وقد أُرعِدَ: ﴿سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لك عمَّا لا يليق بك من الشريك وغيره! ﴿ما يكونُ﴾: ينبغي ﴿لِيَ أن أقُولَ ما لَيسَ لِي بِحَقٍّ﴾: خبرُ «ليس»، ولي: للتبيين. ﴿إن كُنتُ قُلتُهُ فقد علِمتَهُ. تعلَمُ ما﴾ أُخفيه ﴿في نَفسي، ولا أعلَمُ ما في نَفسِكَ﴾ أي: ما تُخفيه من معلوماتك. ﴿إنَّكَ أنتَ علَّامُ الغُيُوبِ﴾ ١١٦. ﴿ما قُلتُ لَهُم إلَّا ما أمَرتَني بِهِ﴾ - وهو ﴿أنِ اعبُدُوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم﴾ - ﴿وكُنتُ علَيهِم شَهيدًا﴾: رقيبًا أمنعهم ممَّا يقولون، ﴿ما دُمتُ فيهِم، فلَمَّا توفَّيتَني﴾: قبضتَني بالرفع إلى السماء ﴿كُنتَ أنتَ الرَّقيبَ علَيهِم﴾: الحفيظَ لأعمالهم. ﴿وأنتَ على كُلِّ شَيءٍ﴾، من قولي لهم وقولهم بعدي وغيرِ ذلك، ﴿شَهيدٌ﴾ ١١٧: مطَّلع عالم به. ﴿إن تُعذِّبْهُم﴾ أي: من أقام على الكفر منهم ﴿فإنَّهُم عِبادُكَ﴾، وأنت مالكهم تتصرَّف فيهم كيف شئتَ؟ لا اعتراض عليك. ﴿وإن تغفِرْ لَهُم﴾ أي: لمن آمن منهم ﴿فإنَّكَ أنتَ العَزيزُ﴾: الغالب على أمره، ﴿الحَكيمُ﴾ ١١٨ في صُنعه.

٣- ﴿قالَ اللهُ: هذا﴾ أي: يومُ القيامة ﴿يَومُ يَنفَعُ الصَّادِقينَ﴾ في الدُّنيا كعيسى ﴿صِدقُهُم﴾، لأنه يوم: الجزاء. ﴿لَهُم جنَّاتٌ تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدينَ فيها أبدًا، رَضِيَ اللهُ عَنهُم﴾ بطاعته، ﴿ورَضُوا عَنهُ﴾ بثوابه. ﴿ذلِكَ الفَوزُ العَظيمُ﴾ ١١٩. ولا ينفع الكاذبين في الدُّنيا صِدقُهم فيه، كالكفَّار لمَّا يؤمنون عند رؤية العذاب. ﴿للهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: خزائنِ المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وما فيهِنَّ﴾ - أتى بـ«ما» تغليبًا لغير العاقل - ﴿وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ ١٢٠، ومنه إثابةُ الصادق وتعذيبُ الكاذب. وخصَّ العقلُ ذاتَه، فليس عليها بقادر.

---

(١) اللَّهم: يا الله. وتكون: تصير. والعيد: ما يعود بالفرح. وقد نزلت يوم الأحد. وفيما عدا الأصل وع: «ونشرِّفه». والآية: البرهان والدليل. ومنك أي: من عندك وبأمرك. وارزقنا أي: أعطنا. وخير: أكثر نفعًا. ومنزِّلها أي: مجيب الدعاء بإنزالها. وبالتشديد يريد القراءة «مُنَزِّلُها». ويكفر: ينكر الرسالة. وأعذبه: أُلقي عليه بالعذاب. والعالمون: جمع عالَم. وهو الجنس من المخلوقات. والأحوات: جمع حوت. وهو السمكة. والحديث في الترمذي تحت الرقم ٣٠٦٣، بخلاف في اللفظ. وادخروا أي: خبؤوا لأنفسهم. وفي البحر ٤: ٥٧ أن الخلاف كثير في كيفية نزول المائدة، وما كان عليها ومن أكلوا منه، وما آل إليه أمرهم، ليس منه شيء يدل عليه لفظ الآية. فليُضرَب عن ذكره صفح، إلا ما جاء في الحديث الصحيح.

(٢) الناس أي: قومك. واتخذوني: اجعلوني. والإله: المعبود. ومن دونه أي: غيره. والمراد: معه. وقال أي: يقول. وأرعد: ارتعدت أعضاؤه من الفزع. والحق: الشيء الثابت. انظر «المفصل». وعلمته أي: ظهر علمك. وما في نفسي أي: ما أخفيه في قلبي. واعبدوه: قدسوه وحده وأطيعوه. ودمت: أقمت. وقبضتني بالرفع أي: رفعتني وأنقذتني. والعباد: جمع عبد. وتغفر: تستر الذنوب وتصفح عنها. والحكيم: البالغ في معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإتقان.

(٣) قال أي: يقول في ذلك اليوم. وينفعه: يوصل إليه الثواب، ويمنع عنه العقاب. والأنهار: جمع نهر. والأبد: مدة الزمان كله. ورضي عنهم: قبِل أعمالهم وأكرمهم. ورضوا عنه: اطمأنوا إلى ما أكرمهم به. و«لمَّا يؤمنونه» خطأ. انظر تعليقنا على تفسيره للآية ١٠٩. والقدير: الكامل الاقتدار. وخص العقل: يعني أن «كل شيء» مع شموله للمولى - تعالى - يراد به غيره من الموجودات. ذلك لأن الله ليس كالأشياء. ولهذا استثنى العقلُ الذاتَ الإلهيةَ الواجبة الوجود من سلطان هذه القدرة المطلقة، إذ هي تتعلق بالممكنات لا بالمستحيلات التي هي افتراض وهمي. ويظهر مما ذكرنا مجانبةٌ للأدب في الكلام على الله، سبحانه. ولو قال السيوطي: «لأنها ليست من الموجودات التي تتعلق بها قدرته» لأوضح المراد، وتجنَّب الإشكال واضطراب الشراح في التعليق على عبارته. وقد أسقطها ناشرو النسخة وبعض المطبوعات، جهلًا بمضمونها، أو تأدبًا وخشية التوهم.